تحرير مذهب ابن تيمية في طلب الدعاء من الميت

بسم الله الرحمن الرحيم

كثير ما يردد بعضهم أن ابن تيمية رحمه الله يجعل طلب الدعاء من الميت من جملة مسائل الشرك الأصغر لا الأكبر و يأتون بكلام لشيخ الإسلام يدل صراحة على عدم فهمهم لطريقة استعمال ابن تيمية لتلك المصطلحات , و الحمد لله أن وفقنا للجمع بين كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة..



:

أغلب الكلام القائم يدور على لفظين قالهما ابن تيمية رحمه الله:

الأول : كونه ذلك بدعة و لم يقل شركا

الثاني : كون ذلك ذريعة إلى الشرك و ليس شركا في نفسه

و أضرب مثالين لأقواله بعيدا عن البسط في النقل لأنه ليس المقصود:

فالأول مثل قوله في طلب الدعاء من الميت :

"فهذا أيضا لا يستريب عالم أنه غير جائز و أنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف "(مجموعة الفتاوى 351'1)

و مثال القول الثاني :
"فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من السلف ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم ، وعبادتهم من دون الله تعالى .بخلاف الطلب من أحدهم في حياته ، فإنه لا يفضي إلى الشرك" (قاعدة جليلة)

فالشبهة ههنا أن ابن تيمية رحمه الله لم يجعل ذلك من الشرك بل هو ذريعة إليه و أنه بدعة ففهموا أن ابن تيمية رحمه الله يقول أن طلب الدعاء من الميت بدعة دون الشرك الأكبر.

الرد على الشبهة

قبل الرد على الشبهة هل لابن تيمية كلاما يخالف أمثال هذه النقول مما يجعلنا نؤول أحد الأقوال فنجعل أحدها محكما و الآخر متشابه ؟

أقول نعم لابن تيمية رحمه الله كلام واضح في أن طلب الدعاء من الميت ليس فقط من الشرك الأكبر بل هو من أعظمه و إليك بيانه :

_ قال رحمه الله وهو يذكر أحوال المشركين :

" و قد يخاطبون الميت عند قبره : سل لي ربك , أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا , و ينشدون قصائد يقول أحدهم فيها : يا سيدي فلان !أنا في حسبك , أنا في جوارك , اشفع لي إلى الله , سل الله ان ينصرنا على عدونا , سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة , أشكو إليك كذا , فسل الله أن يكشف هذه الكربة , أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لي . و منهم من يتأول قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توبا رحيما) و يقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذي طلبوا الاستغفار من الصحابة و يخالفون بذلك إجماع الصحابة و التابعين لهم بإحسان و سائر المسلمين , فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي صلى الله عليه و سلم بعد موته أن يشفع له و لا سأله شيئا , ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم , و إنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء , وحكوا حكاية مكذوبة

على مالك رضي الله عنه كما سيأتي ذكرها و بسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة و الأنبياء و الصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم , و خطاب تماثيلهم , هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ..."(مجموعة الفتاوى المجلد الأول صفحة 158_159)

وقفة مع كلام ابن تيمية

أنا أقول أن كلام ابن تيمية هذا يرد على كل قول متشابه يستدل به المخالف و إليك مواضع الرد في كلامه :

1_ أنه ذكر صفة المنكر الذي تكلم فيه صراحة وهو طلب الدعاء من الميت..

2_ أنه قال في طالب الدعاء يتأول الآية المذكورة في كلامه ولم يعذره بالتأويل ففي أول كلامه عنهم (و المشركون من هؤلاء) "راجع مجموعة الفتاوى 1'158)

3_ انه رد على من يقول مسألة طلب الدعاء خلافية فابن تيمية ذكر الاجماع انها منكرة ثم ذكر أنه لم يخالف إلا بعض متأخري الفقهاء.

4_ لم يفرق في الحكم بين من طلب الدعاء عند القبر أو في مغيبهم فكلاهما شرك.. حيث قال في هؤلاء في طلبهم للدعاء (عند قبورهم وفي مغيبهم)

5_ قال أن ذلك من أعظم أنواع الشرك , فماذا يكون غير الأكبر ؟

فهل كلام صريح هكذا يحتمل التأويل , إلا عند رجل يحب الخصومة في الدين و الله المستعان..

العودة للشبهة

أولا قبل أن نذكر الشبهات و نرى أي الكلام متشابه و أيه محكم , نقول أن الناظر في كتب ابن تيمية رحمه الله يجب عليه أن ينتبه أن شيخ الإسلام يستعمل

كثيرا السياسة الشرعية فهو قد يقول كلمات لا يفهم منها أن يرى شرك مخالفيه إلا أنه له من الواضح من كلام ما يرفع اللبس خاصة و أن ابن تيمية كان مستضعفا فانظر مثلا لتلميذه ابن عبد الهادي ماذا يقول عنه في العقود الدرية:

"و كتب لهم (أي ابن تيمية) ألفاظا اقترحوها عليه و هدّد أو توعّد بالقتل إن لم يكتبها "

فعليك أن تحتاط من بعض الألفاظ الموهمة , فننظر إذا في الألفاظ التي استعملها ابن تيمية رحمه الله في مسألتنا :

1_ أعظم الشرك

2_ بدعة

3_ ذريعة إلى الشرك

و بقي علينا أن نرد المتشابه إلى المحكم و الله الموفق ..

قوله أعظم الشرك :

هل يمكن حمله في كلام ابن تيمية على الأصغر؟ :

أنا لا أعرف نقلا في هذا و من له نقل مرحبا به نستفيد منه إن شاء الله ..

قوله : أنه بدعة :

ابن تيمية ذكر في غير موضع أن لفظ بدعة قد يراد به الشرك ..

قال رحمه الله :" فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك , و من دعا إليه بغير إذنه فقد ابتدع , و الشرك بدعة " (الاقتضاء ص 453)

فتنبه كيف جعل الشرك بدعة , إذا لفظ بدعة قد يراد به الشرك و لا يلزم منه أن تكون البدعة غير الشرك ..

إذا لفظ بدعة من الألفاظ المتشابهة عند ابن تيمية رحمه الله فقد يريد بها الشرك و قد يريد ما دون الشرك ..

قوله : ذريعة إلى الشرك :هل استعمل ابن تيمية هذا اللفظ بالذات في ما هو شرك أكبر حتى عند المخالف؟

فلا شك أن المخالف يقول أن دعاء الميت غير طلب الدعاء منه ,فالأول شرك عنده بخلاف الثاني , فإليك كلام ابن تيمية في الأول :

قال رحمه الله بعد كلام طويل حول دعاء الأموت قال في أوله :

"وهذا ونحوه مما يبين أن الذين يدعون الأنبياء و الصالحين بعد موتهم عند قبورهم و غير قبورهم , هم من المشركين الذي يدعون غير الله ... _ثم ذكر الآيات من القرآن _ثم قال :

" و مثل هذا كثير في القرآن : ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء و لا غيرهم ,' فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب أحدهم في حياته من الدعاء و الشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك , فإن أحدا من الأنبياء و الصالحين لم يعبد في حياته بحضرته , فإنه ينهى من يفعل ذلك , بخلاف دعائهم بعد موتهم , فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم و كذلك دعاؤهم في مغيبهم هو ذريعة إلى الشرك) "(مجموعة الفتاوى 1"145)

يا الله ! فهاهو ابن تيمية رحمه الله استعمل لفظ (ذريعة إلى الشرك) في دعاء الميت نفسه سواء عند قبره أو في مغيبهم . هل يقول عاقل مسلم أنه أراد الشرك الأصغر ؟
بل يقول غفر الله لشيخ الإسلام استعمل لفظا متشابها الله أعلم لِمَ ؟ و لكن كلامه الصريح يجعل هذا المتشابه واضح و لله الحمد.

فحتى لفظ (ذريعة إلى الشرك) استعملها ابن تيمية في ماهو شرك أكبر حتى عند المخالف فدل انها متاشبهة فلعلها مما ادخل في كلامه أو لعله أراد أنه ذريعة إلى شرك أكبر مما هم فيه فحتى الشرك الأكبر دركات و العياذ بالله ..

فبقي معنا الكلام الأول في كونه أعظم الشرك هو المحكم و البين و الله أعلم ..

كلمة حول طلب الدعاء من الميت و أن المخالف فيها خالفنا في أصل الدين و ان طلب الدعاء من الميت هو نفسه الشفاعة الشركية ..

بعد أن كتبت هذا المنشور وقفت على كلام لبعض المعاصرين يذهبون فيه إلى ما ذهب إليه و لله الحمد فسر القلب بذلك فمن ذلك ما كنت أكرره أن طلب الدعاء من الميت هو عين الشفاعة الشركية التي كان يفعلها المشركون , حتى قرأت في مقال للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف قوله في مبحث مسألة طلب الدعاء من الأموات :

" وذكر ابن تيمية في موطن رابع أن طلب الدعاء من الأموات هوعين الشفاعة الشركية التي تلبس بها النصارى ومشركوا العرب " (انظر مبحثة في كتاب تيميات صفحة 282 ففيه نقول مفيدة)

و هذا نفسه ما رأيته في شرح صالح آل الشيخ على الطحاوية حيث قال :

إيش معنى الشفاعة التي من طلبها من غير الله فقد أشرك ؟
الشفاعة طلب الدعاء ، طلب الدعاء من الميت هو الشفاعة"

ثم و لله الحمد وقفت في الدرر السنية على كلام للأئمة نجد يفيد أن طلب الدعاء من الميت هو عين الشفاعة الشركية :

قال با بطين رحمه الله :

"و أيضا فالمستشفع يقول للمستشفَع به : اشفع لي , أدع الله لي , لا يقول : أعطني , كما كان الصحابة يقولون للنبي صلى الله عليه و سلم في حياته : استسق لنا , استنصر لنا , لا يقولون : أسقنا أو أغثنا , أو انصرنا على عدونا , فمن استشفع بالنبي صلى الله عليه و سلم أو غيره إلى الله , في جلب رزق أو دفع ضر , أو رفعه , لا يقول : ارزقني أو اكشف ضري بل يقول: ادع الله لي " (الدرر السنية 12" 137)

فهذا كلام في غاية الوضوح أن طلب الدعاء من الميت هو عين الشفاعة الشركية , فلا يشكل عليك بعد ذلك ما وقع لبعض المتأخرين و المعاصرين من فساد في هذه المسألة , فإنها من أظهر المسائل و الموفق من وفقه الله..

كتبه علاء الدين الحمدي